

طريق الخلاص

في حوار عائلي بسيط بين أب وأبنائه

أرشيبالد ألكسندر

الكتاب : طريق الخلاص: في حوار عائلي بسيط بين أب وأبنائه
المؤلف : أرشيبالد ألكسندر
المترجم : فيرينا ميخائيل
النشر : الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط

وجميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للرابطة فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو أي جزء منه بدون إذن الناشر وللناشر وحده حق إعادة الطبع.

الجزء الأول

[أسماء الأطفال هي جون، خمسة عشر عامًا؛ بنيامين، ثلاثة عشر عامًا؛ روفس، عشرة أعوام؛ وماري ثمانية أعوام].

الأب: "تعالوا يا أولادي. إذ إننا قد انتهينا من العشاء، والطقس هادئ ومعتدل، دعونا نجلس تحت الأشجار المظللة التي تغطي جداول المياه خلف الحديقة، ونقضي ساعة في التحدث معًا".

ماري: "كم أنا سعيدة لسماحك تقول هذا! إنني أتذكر كم من أمسيات ممتعة قضيناها الصيف الماضي تحت شجر البلوط الضخم هذا، وكم من قصص ممتعة قصصتها علينا، وكانت كلها من الكتاب المقدس".

جون: "لقد جعلتها عادة لدي، أن أقضي بعض الوقت صباحًا ومساءً في هذه البقعة لعدة أسابيع ماضية. ولقد تساءلت كيف يمكن للكثير من الناس أن تفضّل الاستلقاء على السرير بدلاً من استنشاق هواء الحديقة النقي في الصباح الباكر".

بنيامين: "وأنا أيضًا أحب هذا المكان. هناك الكثير من الطيور التي تنشد ألحانها فوق الغصون، والكثير من الفراشات الجميلة ذات الألوان البرّاقة التي تحلّق في الهواء وتضيء بلمعان على الأرض".

روفس: "ألا تذكر البيت الصيفي الجميل الذي بنيناه الصيف الماضي، يا أبي؟ وكيف غطيناه بأغصان الشجر، وكيف جمعنا الطحالب الخضراء الناعمة لنصنع المقاعد؟"

ماري: "نعم! إنني أتذكر كيف جمعت سلّة مليئة بالزهور البرّية وعلقتها حول البيت كأنّها قد نمت هناك. لكن في المرّة اللاحقة التي أتينا فيها إلى المنزل كانت قد سقطت وأوشكت على الذبلان".

الأب: "وهل نسيت ما قُلته آنذاك عمّا ترمز إليه تلك الزهور الذابلة؟"

ماري: "أنا لا أعلم ماذا تعني كلمة رمز".

الأب: "الرمز، يا ابنتي، هو أي شيء طبيعي ملموس أو مرئي له تشابه مع شيءٍ آخر معنوي أو روحي".

جون: "أنا أتذكّر جيّدًا أنّ أبانا قال إنّ تلك الزهور ترمز إلى الشباب والجمال، الذي سوف يذبل ويتلاشى بعد وقتٍ قصيرٍ، تمامًا مثل تلك الزهور".

بنيامين: "هل ستقصّ علينا قصّة ممتعة الآن يا أبي؟"

الأب: "لا يجب علينا أن نكون مولعين بما هو جدّاب فقط، يا ابني، بل يجب علينا أن نفكّر فيما سيكون ذي نفع. في الآونة الأخيرة، أصبح لدي اهتمام شديد بخلاص نفوس أبنائي الأحباء، وأودّ الآن أن أتحدّث معكم عن احتياجكم إلى المخلّص".

وفي أثناء حديثهم، كانوا قد وصلوا إلى ذلك المكان وجلسوا على المقاعد.

ثم قال جون: "أنا سعيد لسماحك تذكر هذا الموضوع، فقد سمعت المعلّم إمبروس يعظ عن 'قيمة النفس' منذ عدّة أسابيع، وقال إنّها أكثر قيمة من ألف عالم بأكمله، وإنّ خسارتها لا يمكن إصلاحها أبدًا. لقد كنت أفكّر في ذلك الأمر كثيرًا، وكان يخطر ببالي من دون قصدٍ، وكان يشغل فكري طوال ذلك اليوم".

ماري: "أتمنّى أن تخبرني ما هي النفس يا أبي، لم يسبق لي أبدًا أن رأيت نفسي أو حتى نفس أي شخصٍ آخر، ولا أعلم كيف تبدو".

الأب: "إنّنا جميعًا كالأطفال في موضوعات كثيرة، فأنا أعلم القليل عن طبيعة النفس، تمامًا مثلك، يا ابنتي الحبيبة. النفس لا تُرى ولا يمكن أن نشعر بها، لأنّ ليس لها لحم أو عظام، لكننا نعلم أنّ النفس موجودة، تمامًا مثلما نعلم أيّ شيءٍ آخر".

ماري: "أنا أعلم ما أراه وما أشعر به بصورةٍ أفضل من معرفتي بأنّ لديّ نفس. فيمكنني أن أرى وأن أشعر بشيء عند لمسي هذا الكتاب الذي أمسكه بيدي، لكن لا يمكنني أن أرى نفسي ولا أن ألمسها. فأنا أثق بأنني أحمل هذا الكتاب أكثر من ثقتي بما لم أراه قط".

الأب: "أنتِ تخدعين نفسك، يا ابنتي، فمن هذا الذي يرى الكتاب؟"

ماري: "إنني أراه بعيني وأشعر به بأصابعي."

الأب: "لكن مَنْ هذا الذي تدعيه 'أنا'؟ أليست هي نفسك؟ إن لم يكن لديك شيء آخر بجانب جسدك، فلن تعرفي عن هذا الكتاب أكثر ممَّا تعرفه الحجارة من تحت رجلك. إن عينيك وأصابعك ما هم إلا أدوات تجلب البصر والإحساس لجانبك الروحي، الذي يُسمَّى -لدى البشر- الذهن أو النفس. إن كان هناك أي اختلاف، فنحن على يقين بأن لدينا نفسًا أو أن النفس هي من نحن عليه، أكثر من أي شيء آخر. ففي كل مرّة نرى أو نشعر أو نسمع أو نتذوّق أو نشم، ندرك أننا على يقين بأن أنفسنا هي التي ترى وتشعر وتسمع وتتذوّق وتشم. حاولي أن تتوقّفي عن التفكير قليلاً، يا ماري."

ماري: "لا أستطيع. فكلمًا حاولت، أفكّر طوال الوقت في محاولة التوقّف عن التفكير."

الأب: "حسنًا، هل يستطيع أيُّ شيء، سوى النفس، أن يفكّر؟ لذا، يصبح لديك يقين في كل لحظة أن لديك نفس."

ماري: "لكن، بعد كل ذلك، لا زلت لا أعلم ما هي النفس."

الأب: "وأنا أيضًا لا أعلم، سوى أنها هي التي تشعر وتفكّر. لكننا نعرف القليل أيضًا عمّا نراه ونشعر به. ها هي حجرة، أنت ترينها بيضاء ومستديرة، وتمسكينها بيديك، وهي ناعمة وتملأ مساحة محدّدة، بحيث إنك لا تستطيعين إغلاق يدك بالكامل وأنتِ تمسكينها. لكن ما هو ذلك الذي هو مستدير وأبيض اللون وناعم وممتد؟ لا يمكنك التحدّث عنها أكثر ممَّا يمكنك عن نفسك."

روفّس: "هل تنمو النفس مثل الجسد يا أبي؟ وهل نفس الرجل الكبير أكبر حجمًا من نفس الطفل؟"

الأب: "لقد سقطت في خطأ شائع يا إبني. إنك تحاول أن تعطي للنفس خصائص الجسد. إن الحجم والشكل ينتميان إلى المادّة وليس إلى النفس. لكن بشكلٍ ما، تنمو النفس بقدر نمو الجسد، وقد تستمر في النمو طويلاً بعد أن يكون الجسد قد وصل إلى كامل نموّه. النفس تتّسع أو تنمو بطريقتين؛

الأولى هي قدرتها، والتي تتشكّل بدرجة تدرّبها وتصبح أكثر نشاطًا من يوم لآخر. ومجدّدًا، يتّسع الذهن بازدياد المعرفة".

جون: "أحب أن أسمعك تتحدّث عن طبيعة النفس. لكن ما أريد السماع عنه بالأكثر هو خلاص النفس. فما الفائدة من معرفة الكثير عن نفسي إن كانت سوف تُفقد في النهاية؟ لا يسعني إلا التفكير في قول القس: 'مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطَى الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟'"

الأب: "أنا سعيد أنني أسمعك تتحدّث بكل جدّية عن قيمة النفس، يا إبني، فبكل تأكيد إن تأمين خلاصها هو الشيء الوحيد المطلوب".

بنيامين: "أتمنّى يا أبي أن تشرح كيف أصبحت النفس بحاجة إلى خلاص، لأن القس قال إنها إن لم تكن قد فُقدت، لما كان خلاصها ممكن. أنا أفكّر الآن أنها إن لم تكن قد فُقدت أبدًا، سوف يكون خلاصها أكيدًا. ولما احتاج الإنسان إلى الخلاص إن لم يكن قد أخطأ قط".

الأب: "كان يمكن أن يكون سعيدًا وآمنًا -تمامًا مثل الملائكة- لكن لا يمكن أن يُقال إنه بالحقيقة يكون قد خلص. فالرجل الذي لم يكن مريضًا أبدًا يتمتّع بصحة جيّدة، لكن لا يمكنك القول بأنه قد تعافى. فهذا ينطبق فقط على مَنْ كان مريضًا. إن خلاص شخص هو إنقاذه من الخراب الذي سقط فيه، أو الذي يتعرّض له. إذًا لا يمكن لأحد أن يكون مُخلّصًا سوى الخطاة الضالين".

بنيامين: "لقد فهمت ذلك الآن، لكن كيف أصبحنا كلنا خطاة؟ لا يمكن لإله قدّوس أن يخلقنا خطاة".

الأب: "لا يا إبني! إن قول هذا يُعدّ تجديفًا. لقد خلق الله كل شيء حسنًا كجنسه. خلق الإنسان 'عَلَى صُورَتِهِ'، أي إنه قد خُلِقَ في المعرفة والقداسة. أعتقد يا بنيامين أنك ستستطيع الإجابة عن أسئلتك إن تذكّرت فقط إقرار الإيمان الذي كنت تردّده مساء أمس. 'هل استمر أبوانا الأوّلان في الحالة التي خُلِقوا عليها؟'"

بنيامين: "إن أبويننا الأولين، إذ تُركا لحرية إرادتهما، سقطا من الحالة التي خُلقا عليها، بواسطة ارتكاب الخطية ضد الله".

الأب: "حسنًا، أنت تعرف الإجابة. وما هي الأدلة الكتابية التي تعلّمتها؟"

بنيامين: "من أجل ذلك كائنًا بإنسانٍ واحدٍ دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع".

بنيامين: "لكن يا أبي كيف يمكن لخطية شخصٍ واحد أن تجعل من الجميع خطاة؟"

الأب: "بطريقتين. لقد أصبح نسل آدم كله خاطئًا بسبب خطيته، أولاً لأنه كان ينوب عنهم ويمثلهم فيما يُسمّى بالعهد الأول، وهذا العهد هو الاتفاق الذي أقامه الله مع آدم، أي إنّه إن أطاعه سوف يحيى وإن عصاه سوف يموت. فعندما أخطأ آدم وبالتالي كسر ذلك العهد، أخطأ الجنس البشري بأكمله فيه، وأصبحت خطيته خطيتهم أيضًا، لأنهم كانوا ضمن ذلك العهد. ثانيًا، كما فقد أبوانا الأولان صورة الله وأفسدوا طبيعتهم، وُلدت جميع الأجيال اللاحقة بنفس الطبيعة الفاسدة. هل لديك نصوص أخرى عن هذا الموضوع؟"

بنيامين: "وكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْعُضْبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا، وَهَآنَذَا بِالْإِثْمِ صَوَّرْتُ، وَبِالْخَطِيئَةِ حَبَلْتُ بِي أُمِّي".

ماري: "لماذا؟ كنت أعتقد أن بعض الناس أخيار والبعض الآخر أشرار".

الأب: "لا يا ابنتي، فإنه ليس بآر ولا واحدٌ ... الجميع زاعقوا وفسدوا معًا. ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحدٌ".

ماري: "ألست أنت شخص صالح يا أبي؟ نعم أنت صالح، أنا أعلم ذلك".

الأب: "كلًا يا ابنتي، لست بالطبيعة أفضل من الآخرين. وإن كنت الآن أختلف عن أكثر الأشخاص سوءًا، فذلك بفضل النعمة فقط، ولكن بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَنَا مَا أَنَا. لدي دليل يومي مقنع جدًا بأنه ليس

سَاكِنٌ فِيّ، أَيِّ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. ففي كل فكرة أو شعور صالح، في كل كلمة وكل عمل صالح، أنا مديون لنعمة الله".

ماري: "وماذا عن قسّنا؟ هل وُلد هو أيضًا بالخطية؟"

الأب: "نعم يا ابنتي، وهو يعترف بذلك كل مرّة وهو يصليّ، وهذه هي العقيدة التي يعظ بها كل يوم أحد".

جون: "لكن كيف يكون ذلك؟ أنه في ظل كون الجميع خطاة بالطبيعة، وبلا قداسة، يكون لبعض الأشخاص أخلاقًا جيّدة ويكونون لطفاء منذ الطفولة، ويظل البعض الآخر أشرارًا طوال حياتهم؟"

الأب: "إن ذلك ليس لسبب أي اختلاف جوهري في الطبيعة، لكن بعض الأشخاص يكونون خاضعين للكثير من القيود منذ صباهم، وهذا يمنعهم من الانحراف إلى ضلال بعيد في أفعالهم مثل آخرين كثيرين. الوصية الأولى، الخوف من العار، الرعب من العقوبة، وغياب الإغراءات القوية هي الوسائل التي تقيّد الكثير من الناس. ويمكننا أن نضيف لهذه الأشياء كلها أيضًا التأثير الخفي للروح القدس، الذي نسّميه عمله العام، الذي به يظل الناس في حالة أخلاقيّة جيّدة، وأحيانًا في اقتناع قوي بخطيتهم وبخطرها".

ماري: "ألا يوجد أي أطفال صالحين منذ الصغر؟ ألا يمكن أن يصبح الأطفال صالحين مثل الكبار؟"

الأب: "يمكن لهم أن يتقدّسوا منذ ولادتهم، مثل يوحنا المعمدان وإرميا، وربما صموئيل أيضًا، لكن تعلّمنا الخبرة أن قليلين هم من تأكّدنا أن تلك كانت حالتهم بالفعل".

ماري: "وماذا عن الأطفال الصغار؟ إن كانوا قد وُلدوا بالخطيّة الأصليّة، أفلا يجب إذًا أن يهلكوا؟"

الأب: "إنك تنغمسين الآن في فضول عديم الفائدة، يا ابنتي. ماذا ستستفيدين من معرفة ما يحدث للذين يموتون في طفولتهم؟ لم يخبرنا الله، ولا ينبغي أن نحقق بفضول في الأمور السريّة التي تخص الله. نحن نعلم أن الله يقدر أن يخلّصهم، وليس لدينا ما يؤكّد أنه لن يفعل ذلك".

ماري: "ربما من الأفضل أن أكون قد مُت عندما أخذت روح أُمي، فالممرضة قالت إن بقائي على قيد الحياة كان أمرًا ميوؤسًا منه".

الأب: "إنك تخطئين الآن إلى الله، يا ماري. بكونك غير شاكرة على الصلاح الذي حفظ حياتك وأقامك من حافة القبر. صحيح أنه إن ظللت في حالة اللامبالاة هذه حتى نهاية حياتك، فسيكون من الأفضل لك لو أنك قد مُت قبل ارتكابك لخطية فعلية. لكن الحياة - خاصة في تدبير الإنجيل - هي بركة يجب أن نكون شاكرين عليها. فالآن يمكنك سماع بشارة الإنجيل، وإن آمنت وتبت عن خطاياك، سوف تخلصين. فلماذا إذاً تتمنين لو كنت قد مُتت؟ أتمنى ألا تنطقين ثانيةً بمثل هذا الكلام. لقد تمننت أمك وهي على فراش الموت، وكانت تلك أمنيته الأخيرة، أنه إن عشت، تمنين في 'تأديب الرب' وإنذاره. وهي تلفظ نفسها الأخير، استودعتك لله. والآن، إنه واجبك يا ابنتي الحبيبة، لأجل خلاصك، أن ترجعي إلى الله بكل قلبك. اطلبي الرب ما دام يوجد".

بنيامين: "إن لم يخطئ الإنسان، وبالتالي لم يكن يحتاج إلى خلاص، فبكل تأكيد لما أُرسِل إليه مخلص. لكن ما أود معرفته، لماذا لا يستطيع الله أن يخلص الخطاة دون إرسال ابنه لكي يموت عنهم؟ أنا أعلم جيدًا أن الإنسان في حالة محطمة، وأنه يجب أن يهلك ما لم ينال خلاصًا من الهلاك، لكن إن كان الله يريد ذلك، فلماذا لا يستطيع أن يبسط ذراعه القديرة وأن ينقذه؟"

الأب: "إن الله غير ملزم بإنقاذ أي شخص خاطئ. ولأن ناموسه عادل وصالح، فيمكن لله أن يتمم هذا الناموس، وأن يطبق العقوبة المستحقة على كل من يتجاوز الناموس. فقد مرَّ بالملائكة الذين سقطوا، وتركهم لهلاكهم. لكن عندما أصبح الأمر متعلقًا بالإنسان، فهو يرحم من يشاء. فقد اختار بعض الشعوب، تاركًا الآخرين في ظلمة العبادات الوثنية. اختار البعض لكي ينالوا الحياة، تاركًا الآخرين لتعقُّب مصيرهم. لكن عندما يقرّر الله أن يخلص الخطاة، يجب أن يتم ذلك بالطريقة التي تتوافق مع قداسة طبيعته، وليس بلا احترام لناموسه. لا يمكن للخطاة أن يخلصوا بمجرد قرار من الله كي السيادة. لا يمكن إزالة العائق. يجب أن يكون الله عادلًا في تبرير الأشرار. يجب أن يتم ناموس الله وإلا فلا يمكن أن يخلص الخاطئ. وهذا جعل من اللازم أن يكون هناك وسيط، وكان يجب أن

يكون شخصًا قادرًا على إرضاء الناموس وتحقيق العدل الذي تستحقه خطايا البشر. لا أحد يستطيع أن يفعل ذلك إلا ابن الله. يستطيع ابن الله أن يصلح الإنسان مع الله فقط بأن يصير إنسانًا".

جون: "أفكر دائمًا في هذا الأمر بتعجب، ويبدو لي كأنه أروع أمر في الكتاب المقدس، وأتساءل دائمًا: كيف يمكن أن يصبح ابن الله إنسانًا؟"

ماري: "يمكنني أن أجيبك من دليل الأسئلة والأجوبة. إن المسيح، ابن الله، صار إنسانًا، باتخاذ نفسه جسدًا حقيقيًا، ونفسًا عاقلة، كونه حُبل به بقوة الروح القدس، في رحم مريم العذراء، وولد منها، ولكن بدون خطية".

روفس: "لم أفكر من قبل أنه يمكن لدليل الأسئلة والأجوبة أن يعلمنا الكثير من الأشياء".

الأب: "حسنًا يا ابني، أتمنى أن تكون من الآن فصاعدًا أكثر حرصًا على أن تحفظ هذا الدليل جيدًا، وأيضًا بعض النصوص الكتابية الملحقة بكل سؤال لإثبات العقيدة. فإن كان دليل الأسئلة والأجوبة لا يعلم بحسب ما تعلمه كلمة الله، فسيصبح بلا سلطان. فقد كان مقصودًا به أن يحتوي على موجز قصير لما هو في الكتاب المقدس".

روفس: "لماذا توجد أنواع كثيرة وليس دليل تعليم واحد عن طريق السؤال والجواب؟ يعلم البعض في مدارس الأحد في كنيستنا إقرار الإيمان المختصر، الذي نستخدمه نحن، بينما يتلو البعض الآخر إقرار إيمان هايدلبرج. ويقول ويليام فان سيكل إن قس كنيستهم يعلم كل الأطفال في كنيستته هذا الإقرار صباح كل سبت، في قاعة المحاضرات".

الأب: "هذا هو دليل التعليم عن طريق السؤال والجواب الذي استُخدم طويلًا في الكنيسة المُصلحة بهولندا، وعندما استوطن الهولنديون في هذا البلد أتوا به معهم. أمّا أجدادي فكانوا من اسكتلندا، حيث كان دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر هو المُستخدم طويلًا واتُّخذ كدليل الأسئلة والأجوبة الخاص بالكنيسة المشيخية. لطالما كان دليل التعليم الموجز ذو قيمة كبيرة ومُستخدم كثيرًا من قبل غير المشيخيين في إنجلترا القديمة والجديدة. لكن دليل تعليم هايدلبرج قد استُخدم بشكل أكثر

اتساعًا من أي دليل آخر مؤلّف من قِبَل المصلحين. فقد تبنّت كل الكنائس المصلحة في دول قارة أوروبا هذا الدليل. هذان الدليلان يتّفقان تمامًا في العقيدة، بينما يختلفان فقط في الكلمات والأسلوب".

جون: "إن لم يأخذ ذلك الكثير من الوقت يا أبي، أحب أن أسمعك تذكر الأسباب التي من أجلها يحتاج الإنسان إلى مخلص، وبعد ذلك تظهر أن المسيح هو المخلص الذي يحتاجه الإنسان".

الأب: "سأبذل أقصى ما بوسعي لكي أرضيك، يا إبنِي. إن هذا الموضوع أهم مما تتصوّر، وأنا أصليّ بتواضع لعلّي أرشد لكي أتمسك بالحق الإلهي، ولا شيء سوى الحق. سوف أدخل في هذا النقاش بكل سرور، لأنني أتمنى أن تكونوا قد بدأتم في التساؤل بصدق عن طريق الخلاص. وأتوسّل إليكم جميعًا، يا أولادي الأحباء، أن تعطوا انتباهًا جيّدًا لتعاليم أبوكم المحب، أو بالأحرى إلى مشورة الله، أباكم السماوي، لأن كلمته قادرة -من خلال الإيمان بالمسيح يسوع- أن تجعلكم واعين من جهة الخلاص".

روفُس: "أيمكننا أن نسألك أن تفسّر لنا أي شيء عندما لا نفهمه، يا أبي؟"

الأب: "بالطبع يمكنكم، وسوف يسعدني أن أقدم لكم كل ما أستطيع من معلومات، فأنا لا أشعر أبدًا بأنه يمكنني أن أوّدّي واجبي كأب بشكل أفضل من ذلك، وليس هناك أي واجب يجعلني مسرورًا من كل قلبي كما أن أغرس الحق الإلهي في أذهان أولادي، خاصة عندما أجدهم مستعدّين للاستماع ومتشوّقين للتعلّم".

جون: "أتمنّى أن تبدأ بحاجة الخاطيء تلك، التي تكون أكثر إلحاحًا والتي تُشعره بثقل. فعندما تسأل حارس السجن في فيليبي 'ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟'، ما هو الاحتياج الذي كان يشعر به؟ وما نوع الخلاص الذي كان يتساءل عنه؟"

الأب: "اقتراحك معقول جدًّا، ففي الكثير من الأحيان، من أجل المواصلة بشكل منهجي في تعليمنا، نبدأ من بعيد جدًّا عن مشاعر النفوس المتعثرّة. من الواضح، في اعتقادي، أنّ الشعور بالذنب، أو

التعرُّض للإدانة، يشكّل الشعور الأكثر إلحاحًا بين جميع مشاعر الخاطيء، الذي عادة ما يُختبر أولاً في التبكيت على الخطيئة، الذي ينتجه الروح القدس. إن لدى معظم من نشأوا على الإنجيل قناعة عامة وفطرية بكونهم خطاة. إن تأنيب الضمير المتكرّر يكفي لمنعهم من إنكار ذلك. وبما أن الجميع مستعد للإدلاء بهذا الاعتراف، فلا يوجد أي عار شخصي مرتبط به. لكن في ظل اعترافهم بأنهم خطاة، يميلون إلى إيجاد المبررات لأنفسهم، والتمسك بالرأي القائل بأنهم أفضل من معظم الآخرين؛ وقناعتهم العامة بالخطية لا تترك أي تأثير عليهم. إنهم ليسوا متواضعين ولا قلقين بشأن حقيقة كونهم خطاة. إنهم لا يشعرون بحاجتهم إلى مخلص، إلّا عندما يصبح الخوف من الموت شديدًا. إنهم يسلّمون أنفسهم للملاحظات الدنيوية والمُتَمَع، بقدر من اللهفة كما لو كانوا واثقين من عدم وجود عالم قادم، أو كما لو لم يكن لديهم حساب يقدّمونه إلى الله عن خطاياهم. إن الحالة التي أصفها شائعة جدًّا، للدرجة التي تجعل من الصعب أن تجد، في جماعة بأكملها، عددًا قليلًا من الأشخاص الذين يبحثون عن خلاص أنفسهم بمجدية. لكن في بعض الأحيان، يسعد الله بأن يسكب روحه، فيصحي كثيرون، فيصبح هناك، لفترةٍ ما، اهتمامًا شائعًا بخلاص النفس."

بنيامين: "هل هذا ما يُسمّى بالنهضة؟"

الأب: "نعم، ومثل هذه الفترات تكون قيّمة جدًّا. فكثيرون من الذين كانوا بعيدين عن الله يُجتذبون قريبًا، ويترك الشرّير طريقه والرجل الظالم أفكاره ويعود إلى الله وينال رحمةً."

جون: "هل كل ما هو جيّد ينبع من روح الله، أو هل يمكن ألاّ تقودنا نهضة الترانيم أو إنذارات تدابير العناية الإلهية إلى التفكير أو الشعور بأي أمور دينية؟"

الأب: "بما أن الله يعمل من خلال وسائل، فلا يمكننا أن نحدّد أبدًا ما إذا كانت أي فكرة أو شعور جاد هو فقط نتيجة لعمل كلمة الله وعنايته، أو ما إذا كان الروح القدس يعطي قوة استثنائية لتلك الوسائل. على كل حال، إنه من الأكثر أمانًا، وما يمكن اعتناقه بلا أي خطر، أن ننسب كل التأثيرات الجادة لروح الله، مع إعطاء أهمية للأمور التي مرّت علينا من قبل بلا انتباه."

جون: "كيف يمكننا أن نعرف أن تبكيتنا على الخطية يتم من قِبَل الروح القدس؟"

الأب: "إذ لا يمكننا أن نرى عمل الروح القدس، لكننا ندركه بالتأثير الذي يحدثه. فإن كان لدينا التزام وتبكيك عميق على خطايانا، نعلم أن هذا التأثير قد صنعه الروح القدس فينا".

جون: "أتمنى أن أعرف كيف يشعر الأشخاص الذين يخضعون لتبكيك الروح القدس. فأنا أشعر جيّدًا بأني خاطئ، لكن قلبي يظل قاسيًا. فليس لدي أيّة مشاعر رقيقة. عندما سمعت قبلاً عظة، تأثرت بها لدرجة البكاء، لكن سرعان ما تحجّرت مشاعري. الآن، نادرًا ما أذرف دموعًا. وحتى عندما يحدث ذلك، يظل قلبي قاسيًا، تمامًا مثل الحجر. أتمنى أن أصبح واعيًا بشأن خوف الرب، لكن يبدو أنني غير قادر على الشعور بالخوف. وعندما أحاول أن أصلي، يبدو الأمر وكأنّه مزحة. فعندما أجتو على ركبتيّ، تتشتت أفكارى، ولا أجد شيئًا لأقوله. وعندما أتبع صيغة كلمات معيّنة، لا يشعر بها قلبي. أعتقد يا أبي أن قلبي هو القلب الأقسى والأكثر فسادًا الذي يمكن أن يسكن داخل الإنسان. بدأت أخشى من أن يكون روح الله قد تركني لِنفسي، وأنه قد سمح لي بأن أعيش فقط لكي أملأ كأس إثمي إلى أقصاها. أخبرني بما يجب عليّ أن أفعله".

الأب: "بالرغم من أن مشاعرك مؤلمة يا إبني الحبيب، فإنني فرح لأنك تمتلكها، وأنا أوكد لك أنها لا تقتصر عليك وحدك. لقد اختبر الآلاف المشاعر ذاتها. لا يمكنني أن أعبر عن مشاعري تجاه اهتمامك الجاد بخلصك. أعترف بأنني كنت مهملاً في التحدّث معك بشأن أمورك الروحية. أنا أرثي تقصيري وعدم أمانتي في هذا الموضوع. لكنني شعرت باهتمام كبير بخلص أبنائي وقد حملتكم كثيرًا في قلبي إلى عرش النعمة، بدموع كثيرة، نهارًا وليلاً، وأنا أمل الآن أن يكون الله على وشك الاستجابة إلى صلواتي البسيطة الصادقة".

جون: "أخشى أن أكون قد أعطيتك فكرة خاطئة تمامًا عن حالة ذهني. صحيح أن هذا الموضوع كان يشغل فكري لعدّة أسابيع سابقة، وقد تمنيت أن أختبر تأثيرات عميقة، وكنت على استعداد لأن أختبر أقوى مشاعر التبكيك. لقد حاولت بالفعل أن أنتج هذه المشاعر بالتفكير في أكثر الموضوعات بشاعة، لكن بدلًا من أن يلين قلبي، كان كل حين يزداد قساوة. لقد أعطيتني مؤخرًا نسخة من كتاب

دودريدج 'ارتفاع الدين وتقدمه في النفس' (rise and progress of religion in the soul) وطلبت منِّي قراءته، وخاصة الجزء الأول، وأكّدت أنه إذا كنت قد حصلت على أي بركة روحية، فأنت مديون -بعد الله- لهذا الكتاب. منذ يومين، أخذت الكتاب وتصفّحت بدقّة عدّة فصول به، وبالرغم من أن فهمي كان متوافق مع كل ما قرأته، لم أتمكن من أن أشعر بشيء، لا شيء إلا قسوة القلب. وما أتمناه الآن أكثر من أي شيء آخر هو أن أشعر بالتبكيك على الخطية، لأن بحسب فهمي، هذه هي الخطوة الأولى في الاختبار المسيحي. أخبرني كيف يمكنني أن أحصل على التبكيك. فأنا لا أبالي ما إذا كان ذلك مؤلماً أو عسيراً. أتمنى أن أكون مستعداً لقبول المسيح".

الأب: "أعتقد أن مفاهيمك عن التبكيك خاطئة، وأيضاً عن التأثير التي يستطيع أن يُحدثه فينا. يبدو أنك تعتقد أن التبكيك على الخطية يتمثل في لين رقيق للغاية أو في رعب مروّع للضمير، فبالتالي تظن أنك لا تختبر التبكيك الآن. لكن تلك المشاعر التي تتمنى أن تحصل عليها، لن تمنحك الشعور بإثمك، كما تختبره بالفعل الآن. إن كانت لديك تلك المشاعر، لظننت أن موقفك أفضل مما تراه الآن. إن جزءاً كبيراً من فساد القلب يتمثل في قسوته الشديدة. فأن تكون متيقن من ذلك بشدّة هو إذن تبكيك حقيقي وعميق أكثر من الذي تتمناه. ويبدو أنك تعتقد أن هذه المشاعر التي كنت تسعى إليها سوف تعدّك لأن تأتي إلى المسيح. هذا هو عمل النفس المعتدّة بنفسها، التي ترغب في أن تأتي بشيء يجعلها تستحق النعمة، وتظن أيضاً أنه لا يوجد شعور بالضيق، مهما كان شديداً، يمكنه أن يعدّك لقبول المسيح. لا يمكنك أن تمتلك أي مقومات، لكن فقط احتياجك له، هذه هي المقومات الوحيدة التي يطلبها -والتي تمتلكها أنت الآن- إذا كنت حقاً تشعر بأنك بحاجة إلى مخلص. التبكيك ليس هو إلا إعداد للإيمان بالمسيح، فقط لأنه يظهر لنا أننا في حالة يائسة، وعاجزين تماماً عن مساعدة أنفسنا، وأنا سوف نهلك ما لم تتدخل النعمة. والتأثير لا يكتمل فينا إلا عندما نرى ونشعر أنه سيكون من عدل الله أن يُهلكنا إلى الأبد. لم تعبّر عن مشاعرك بشأن هذه الفكرة، يا ابني".

جون: "أنا سعيد أنك ذكرت هذا. كنت أتمنّي في البستان مساء أمس، وكنت أتأمل حالي الضالّة اليائسة، وأتت إلى ذهني فكرة أنّ يوم افتقادي قد عبر، وأن خطاياي أعظم جدّاً من أن تُغتفر. بدت هذه الفكرة وكأنها حقيقة واضحة جدّاً، حتى أنني في ذلك الوقت كنت أوّمن بها تماماً. ومع ذلك،

فقد كنت هادئاً ولم أشعر بأي رعب من نوع خاص، لكنني بدأت في التفكير بتأنٍ فيما ستكون عليه حالتي في عالم الحزن. لقد سمعت كثيراً أن الخطاة الهالكين في جهنم سوف يجذفون على الله إلى الأبد، لكنني كنت أعتقد أنني لا يمكن أن أشارك أبداً في تجديفهم. أعتقد أن الله لم يكن عادلاً فقط بل حنوناً أيضاً معي. كنت مقتنعاً تماماً أنه غير ملائم بأي درجة على هلاكي، وأن كل اللوم سوف يقع عليّ أنا. وكان لدي في ذلك الوقت إدراك لقداسة الله، مع شعوري بذنبي، حتى أنني بدت خاضعاً بقبول لإرسالي للجهنم على أنه أمر يجب أن يقوم به إله قدوس. لم أر أبداً أي شيء جليّ في حياتي أكثر من عدل الله المطلق في دينونتي الأبدية. وهذا عندما بدت على يقين من أن هذا سيكون مصيري".

الأب: "أنا مقتنع بهذه النقطة! وأنا لا أرى أن هناك ما يمنعك من أن تودع روحك الآن في يدي يسوع، الذي ينتظر أن يستقبلك. 'مَنْ تَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى السَّمَاءِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ'. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا. إنه يدعو الخطاة لأن يأتوا إليه ويعد بأن 'مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا'. وهو لا يطلب أي استعدادات، ولا تطهير مسبق، ولا درجة معينة من الشعور بالذنب. تعال إليه بعجزك، تعال كما أنت، تعال كمذنب شاعر بذنبه، وتعال الآن. 'هُوَذَا الْآنَ وَقْتُ مَقْبُولٍ. هُوَذَا الْآنَ يَوْمُ خَلَاصٍ'. تمسك بالحياة الأبدية، فقبولك ليسوع تقتني الحياة. إن رحمته تمتد إليك. المسه، وسوف تحيا روحك".

جون: "يا الله، أنا أو من، 'فَاعْنِ عَدَمَ إِيمَانِي'".

[وهنا، عاق وابل من الدموع تكلمة الحديث، وارتمى الابن المتألم في حضن أبيه، واستمر في البكاء بشدة لوقت طويل].

ماري: "دعنا نعود إلى المنزل، يا أبي العزيز. لماذا يبكي أخي جون؟ أهو مريض؟"

الأب: "كوني صبورة يا ابنتي. أتمنى أن يكون الله الآن يتعامل بالنعمة مع أخوك الأكبر، وأتمنى من قلبي أن يكون كل أولادي قد تأثروا مثله".

[وهنا انتهت المحادثة لهذه المرّة، والأولاد الآخرون قد تأثّروا جدًّا، بتأثير روحي حيوي جزئيًّا،
وبتعاطف رقيق جزئيًّا].

الجزء الثاني

بموافقة الأب على قضاء مساء اليوم التالي في نفس البقعة المخبئة المعزولة، تجمّع كل الأولاد هناك في الموعد المحدّد. لم يعد جون مكتئبًا. السحب المظلمة التي كانت تظلل ملامحه الشابّة كانت قد تشتتت. سادت السكينة على ملامحه، بينما بدا أن الرجاء والفرح ينطلقان من عينيه. كان قلبه ينعم بالراحة، لأنه بدا وكأنّه يتكئ برقّة على صدر مخلصه. لكنه لم يكن يريد التحدّث. لقد بدا أنه يريد أن يُترك في هدوء للمتّمع بوجبة الحب والفرح الشهية التي أنعم الله عليه بها. كان الأولاد الآخرون متأثرين وهادئين. لم يستطع الأب -الذي خاض نقاشًا طويلًا مع جون- أن يجيئ مشاعره المتزايدة، فسالت دموع الفرح على خديّه ونظر حوله إلى أطفاله الصغار بحنان ورفق. لم يكن قد شعر قبلاً بهذه المشاعر بهذا القدر. بعد بعض الوقت من الصمت الرقيق، تجرّأ بنيامين وبدأ يتحدّث.

بنيامين: "أتمنى أن أسمعك يا أبي وأنت تشرح بتوسّع أكثر لماذا كان من اللازم أن يرسل الله ابنه الحبيب إلى العالم لينقذ الخطاة".

الأب: "لقد قلت لكم إن الله قدّوس جدًّا للدرجة التي تجعله لا يستطيع أن يتحمّل ألاّ تعاقب الخطية في أيّ من مخلوقاته، فيجب إذن أن يموت الخاطيء أو أن يموت شخص آخر نيابةً عنه. ناموس الله قدّوس وعادل وصالح ولا يمكن أن يُوضع جانبًا، يجب أن يُحترم ويتمّم، وهذا لا يمكن تحقيقه إن فلت الخطاة من عقوبتهم المستحقّة. لقد حدّر الله بأنّ الموت هو عقوبة كل خطية. هذه الكلمة البشعة تشمل كل نوع وكل شكل من أشكال الموت، وكل شر يمكن أن يلحق بالإنسان. لا يمكن للملائكة أن تصبح وسيط بين الله والإنسان، لأن الملائكة كائنات خاضعة، ولا يمكنها أن تتمم أي عمل إلاّ المطلوب منها في الناموس الذي تخضع له. لا يمكن للملائكة أن تتحمّل اللعنة عن هذا العدد الهائل من البشر. كان الاحتياج لشخص ذي قوّة وكرامة غير محدودين. وأين نجد هذا الشخص إلاّ في الألوهة نفسها؟ فبالرغم من أن الله واحد في الجوهر، فإنه مثلث الأقانيم، وأقانيمه متّحدون ومتمايزون بطريقة لا يمكن أبدًا شرحها أو فهمها. عُرفت هذه المعضلة المجيدة فقط في ارتباطها بنخطة الفداء. لقد قرّر الأب الأبدي أن يقدم ابنه الوحيد لكي يصبح إنسانًا ولكي يموت من أجل الخطاة.

وقيل الابن المساوي له في الجوهر أن يتجسد وأن يسكن بيننا وأن يحمل خطايانا في جسده على الصليب. ودخل الروح القدس كطرف في عهد السلام، وتعهّد بأن يعدّ الطبيعة البشرية للوسيط لتكون طاهرة ونقية، بميلاد معجزي، وأن يملأ ويكرّس هذه الطبيعة المقدّسة الفريدة، بملء نعمته الذي لا يُقاس، وأيضًا ليتّم الخلاص المُشترى لكل أولاد الله المختارين، ويعدهم ويحفظهم للميراث السماوي. في ملء الزمان، ظهر ابن الله في الجسد، بعد أن حقّق صلاح أبدي، بطاعته وموته، وعاد إلى السماء، حيث هو متوّج بالمجد الآن".

روفّس: "إنّ معظم ما قلته مدوّن في دليل التعليم المسيحي، يا أبي. لقد كنت أراجع أسئلتني تقريبًا اليوم كله".

الأب: "حسنًا يا روفّس، دعنا إذن نستمع إلى ما تتذكّره بخصوص هذا الموضوع".

روفّس: "شمل اتّضاع المسيح على كونه وُلد، وذلك في حالة وضيفة، وجُعل تحت الناموس، محتملاً مآسي هذه الحياة، وغضب الله، ولعنة الموت على الصليب؛ وعلى كونه دُفن، وبقائه تحت سلطة الموت إلى حين".

الأب: "رائع جدًّا، دعونا نرى هل ستمكّن ماري من أن نخبرنا علامَ يشمل تمجيد المسيح؟"

ماري: "لا يا أبي، لا يمكنني أن أتذكّر الإجابة إلّا عندما تسألني من البداية".

الأب: "يمكنك أن نخبرنا أنت يا روفّس، فلقد انتهيت للتو من مراجعتها".

روفّس: "يشمل تمجيد المسيح على قيامته ثانية من الأموات في اليوم الثالث، وصعوده إلى السماء، وجلوسه عن يمين الله الآب، ومجيئه ليدين العالم في اليوم الأخير".

بنيامين: "أنت لم تنته من أن تشرح لنا لمَ لا يمكن لله أن يصفح عن خطايانا بلا كفّارة".

الأب: "صحيح يا ابني، لقد تشبّثت عن الموضوع بسبب استفسارات أخيك جون المثيرة للاهتمام، لكنني أعتقد -مما قيل- أنه يجب أن يكون واضحًا لأي عقل نزيه أن قداسة وعدل الله لا يمكنهما

تحمّل أن تُغفر الخطيئة إلا إذا كان ذلك على حساب إشباع كامل لهما. لم يكن هناك أي شخص مؤهّل بما يكفي ليقدم مثل هذا الإشباع إلا ابن الله. فكفارته إذن هي الأرضية الوحيدة التي يمكن للخطيئة أن يضع عليها رجاءه من وجهة نظر منطقية وأيضًا كتابية لمغفرة خطاياها. ليس فقط قداسة الله وعدله، ولكن أيضًا حقه وأمانته قد تعهّدوا بمعاينة الخطيئة. ولا يوجد أي طريقة يمكن بها لصدق الله أن يُصان ويُمجّد إن نجا الخطيئة من عقوبة خطاياها، إلا إذا أخذ شخص آخر مكانه ومات من أجله. يجب أن تُحمّل لعنة الناموس، إمّا من قِبَل الخطيئة أو من قِبَل ضامنه. 'مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ'. لقد أعلن الله ذلك بحزم، وإن فشل في تنفيذ تهديداته، فأين إذن صدقه؟ إنّ فشلًا مثل هذا لدى الإنسان يُعتبر عظيمًا جدًّا، فهل يمكن أن يكون الإنسان أكثر صدقًا من الله؟

بنيامين: "لكن يا أبي، ألم يقل الله لآدم 'لِإِنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ'، مع ذلك عاش آدم لمدة تقرب من ألف عام؟"

الأب: "توجد أنواع كثيرة من الموت، يا ابني. كلمة 'تموت' في ذلك الموضع تتضمن كل أنواع العقوبات، والمعنى الأهم فيما بينها هو أن آدم مات بعدما أخطأ مباشرة، لأنه انفصل عن شركته واتحاده بالله، الذي تتمثّل فيه الحياة الروحية؛ فأصبح ميّتًا بالخطيئة، وميّتًا من جهة الناموس، وفي الوقت المحدّد مات جسده أيضًا".

جون: "أحب أن أفكر في يسوع المسيح وهو يحمل خطايانا في جسده على الصليب. 'لِإِنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا'. لقد أتى ليحرّر شعبه من لعنة الناموس، بأن يصير لعنة لأجلهم. فإن كنت لا أرى تحقيق ناموس الله القدّوس بالكامل في المسيح، لا يمكن أن يكون لدي رجاء أبدًا. يمكن لله أن يكون عادل وأن يبرّر الخطيئة الذي يؤمن بالمسيح، لأنه قد وجد فدية؛ المسيح هو الكفارة لخطايانا ودمه يطهرنا من كل إثم. أتمنّى أن يرى العالم كله امتياز المسيح كما أراه أنا الآن. إنه حقًا معلم بين ربوة وكله مشتهيّات".

الأب: "إنك تتحدّث بمشاعر حقيقية وبجماس، يا جون، لأنك تتحدّث من القلب. إنني فرح بأرائك وبمشاعرك الدافئة، لكن عليّ أن أحذرك من أنّ حالة الابتهاج هذه لن يكون متواصلة. فعلى المسافرين إلى مدينة صهيون أن يتوقّعوا أن تأتي عليهم أيام ملبّدة بالغيوم - إن لم تكن ليالٍ سوداء وعاصفة، ما داموا يرتحلون عبر هذه الصحراء. وسوف تجد أنك تحتاج بشدّة إلى مرشد ماهر لإرشادك إلى الطريق الصحيح، وأن يعيدك ثانية عندما تضل. الاحتياج إلى دم يسوع الكفّاري وبره المبرّر يُدرك في البداية ثم يستمر ذلك الإدراك دائمًا، ولا يمضي الكثير من الوقت حتى يصبح المسيح مهمًّا في دوره النبوي أيضًا لدى للمؤمن. لا يتم اختبار أي احتياج بشكل ملموس أكثر من الاحتياج إلى المعرفة الروحيّة، والتي لا يمدنا بها أحد إلاّ المسيح، عن طريق روحه. نحن نحتاج إلى الإرشاد كل يوم وكل ساعة، نحتاج إلى التمييز الروحي، الذي من دونه لا نعرف أي شيء على نحو قويم، نحتاج إلى الحكمة لكي ندرك الأشياء التي تُمنح لنا مجّانًا من الله، وتمكّننا من أن ندير سلوكنا بشكل صحيح، نحتاج إلى روح وديعة، فنكون على استعداد للتعلّم، نحتاج إلى القدر من المعرفة الإلهيّة الذي يجعلنا ذوي نفع للآخرين. هل يمكنك أن تخبرنا يا ماري كيف يمارس المسيح وظيفة النبي؟"

ماري: "يمارس المسيح وظيفة النبي بإعلانه لنا، بواسطة كلمته وروحه، إرادة الله لأجل خلاصنا".

جون: "آه يا أبي، كم أنّ ذلك معبرًا عنه باختصار وبوضوح. لقد بدأت أحب دليل التعليم المسيحي عن طريق السؤال والجواب. سوف أمر عليه كله، دون تأجيل".

الأب: "يمكنك، يا ابني، أن تلتزم بحفظ دليل التعليم المسيحي المطوّل، إنه يحتوي نفس العقائد الموجودة في دليل التعليم الموجز لكنه ممتلئ أكثر ويتم فيه التعامل مع الكثير من النقاط بشكل كافٍ، إنه -من وجهة نظري- النظام اللاهوتي الأفضل، مقارنة بحجمه، في العالم كله".

روفس: "ماذا تقول يا أبي؟ أهو أفضل من الكتاب المقدّس؟!"

الأب: "لا يمكننا أبدًا أن نقارن أي عمل بشري بالكتاب المقدّس. الروعة في هذا الدليل هي أنه يحتوي -في مساحة صغيرة- على العقائد الأكثر أهمية المغروسة في الكتاب المقدّس".

جون: "أنا لا أفهم جيّدًا لماذا يجب أن يكون هذا الوسيط ملك. أتمنى يا أبي أن توضّح بعض الملاحظات بخصوص هذا الموضوع".

الأب: "إن عمل الفداء عمل عظيم ومعقّد، لا يمكن سوى لمن يمتلك قوّة الله القدير أن يتّممه. لقد سقط الإنسان تحت سيطرة عدو يجب أن يُهزم أولاً من أجل إتمام خلاصه. يجب أن تُهزم اتجاهاته وميوله الشرّيرة، ويجب أن يحدث انتصار على العالم-الذي كان الإنسان حتّى تلك اللحظة يخدمه. عندما يتم الإتيان به إلى حالة المصالحة، يظل مع ذلك -ما دام في الجسد- في وطن العدو، حيث يكون معرّضًا للهجوم من قِبَل الكثير من الأعداء. وهو لا يمتلك أي قوة في نفسه لكي يقاوم ذلك. سوف يسقط -إن تُرك لنفسه- على يد أضعف أعدائه؛ فهو يحتاج إلى رئيس خلاص لكي يحميه، ويعلّمه كيف يحارب في تلك الحرب الروحيّة، ويعطيه النصرة على أعدائه. في جميع هذه النواحي، يجب أن يكون مخلصه ملكًا كَيّ القدرة. أكرّر، تتطلّب وعود الله لشعبه -في عهد النعمة- أنّ الذي يتعهّد بتتيممها يجب أن تكون لديه سيادة على كل العناصر، كل قوانين الطبيعة، كل خلائق الله، العاقلة منها وغير العاقلة أيضًا. فنقرأ أنّ السلاطين مخضعة للمسيح، وأن كل الملائكة مُرسلة من قبله، 'أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخُلَاصَ!'. يجب أن يُمجّد المسيح كوسيط، كمكافأة على تواضعه الشديد، 'الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، أَخَذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانُوسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ، وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتِ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجْتُوبَ اسْمُ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ، وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ، وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ' (فيلبي ٢: ٦-١٠).

جون: "يا لها من حكمة رائعة، تلك التي تظهر في خطة الخلاص، ليس فقط الحكمة، بل أيضًا المحبة والرحمة، وكل ذلك يفوق كل فكر بشري. والأكثر روعة هو أنّ العدل يظهر واضحًا في خلاص الخاطئ تمامًا مثل الرحمة".

الأب: "أعتقد أن الطريقة التي بها تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية هي الإظهار الأكثر تمجيدًا للصفات الإلهية في الكون كله. بينما يحصد الإنسان فائدة ذلك مباشرة، يجب أن تستفيد كل الكائنات

المقدّسة بهذا الإظهار للصفات الإلهية إلى الأبد؛ لأن مكانتهم وسعادتهم يعتمدان على مدى وضوح معرفتهم بالله".

بنيامين: "أحب أن أسمعك وأنت تعطي لنا نظرة - في كلمات قليلة- عن طريق الخلاص، يا أبي".

الأب: "أنا بالكاد أعلم كيف أجيب عن سؤالك، وبالكد أعلم من أين أبدأ، وإن بدأت بالفعل، أين أنتهي. لقد قالها بولس في جملة واحدة: 'لِأَنَّكُمْ بِالنَّعْمَةِ مُحَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ'. إنها كلها خطة رحمة ونعمة خالصة، نبتت من حب نقي، 'لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ'. التعهد بعمل الفداء بواسطة الابن كان نعمة غير مستحقة. 'كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا، لِأَنَّهُ وَخُنْ بَعْدُ خُطَاةً مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا، فالعمل الذي أتمّه المسيح كان كالآتي:

١. إعلان للحق.
٢. طاعة كاملة للناموس، قُدِّمت نيابة عن شعبه.
٣. تكفير كامل عن خطاياهم، عندما حملها كلها في جسده، على الصليب، وصار لعنة، ليخلص شعبه من لعنة الناموس.
٤. قيامته، وشفاعته المستمرة عن جميع الذين قد أعطوا له من الآب.
٥. مهمّة الروح القدس، في أن يظهر لهم خطاياهم، وأن يجدّدهم، وأن يأتي بهم بالإيمان إلى يسوع المسيح
٦. التقديس التدريجي وحفظ المؤمنين، بدفاعه عنهم وحمائته لهم من كل الأعداء، وحفظه للنعمة الحية فيهم، باستردادهم عندما ينحرفون إلى الضلال، بتأديبهم لينموا في القداسة، يشدّدهم ويعزّزهم في كل شدائدهم، وأخيرًا يعطيهم الغلبة على الموت، ويمنحهم الدخول إلى الملكوت الأبدي لربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

٧. لقد أعطى الرب يسوع أيضًا التأكيد -بوعود متكررة- على أنه سيأتي ثانية ليأخذ شعبه، ويعترف بهم علانيةً أمام الخليقة كلها. عندها ستقوم أجسادهم من الموت وتأخذ شكل جسده الممجّد. ثم يُخطفون معه إلى السحب ويصعدون معه إلى السماء، حيث سيعيشون مع الرب إلى الأبد. إنَّ غنى الميراث الذي اشتراه وأعدّه المسيح للذين يحبُّونه يتخطى كل تصوّر بشري بكثير. لكننا نعلم أنه ميراث 'لَا يَفْنَى وَلَا يَتَدَنَّسُ وَلَا يَضْمَحِلُّ'. ثم يقف المفديون على جبل صهيون مميّزون لأن 'هُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيْقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخُرُوفِ'، وتحرّروا من كل خطيئة وامتلاؤا بالامتنان، لن يتوقّفوا أبدًا عن تسبيح الله والخروف، ولن يخرجوا أبدًا خارج الملكوت، لأنهم سيكونون كأعمدة في هيكل الله. طوبى لكل من أُعطي امتياز أن يشارك في الهتافات والتسبيحات في الهيكل الذي هو فوق".

بنيامين: "إن ما أتمنى معرفته بصورة أدق هي الطريقة التي يجلب بها الله الخاطيء إليه ثانية، أو أفكار ومشاعر الخاطيء العائد إلى الله بالإيمان والتوبة".

الأب: "إن الطرق التي يتعامل بها الله مع أولئك الذين يدعوهم الدعوة الفعّالة متعدّدة في الكثير من النواحي، لكن من حيث الجوهر، فالنتيجة واحدة. دعنا نسمعك يا رؤفُس وأنت تعطينا إجابة السؤال 'ما هي الدعوة الفعّالة؟'

رؤفُس: "الدعوة الفعّالة هي عمل روح الله، الذي به، يبكتنا على خطيتنا وشقائنا، ويُنير أذهاننا في معرفة المسيح، ويجدّد إرادتنا، وهو يُقنعنا ويُمكننا أن نقبل يسوع المسيح، المقدم لنا مجانيًا في الإنجيل".

الأب: "إن الخطوة الأولى في الحياة المسيحيّة هي التفكير الجاد، والثانية هي رغبة حقيقيّة في الهروب من خطر الهلاك الأبدي. في البداية، الخطايا الظاهريّة والخطايا الكبيرة فقط هي التي تبكت الضمير، لكن عندما يزداد النور والمعرفة، تُميّز رغبات القلب ونشعر أنها آثمة. غالبًا ما تكون الفكرة الأولى للمذنب التائب هي أن يحاول إرضاء الناموس بالإصلاح أو عن طريق الصلاة وإماتة الذات. لكنه عندما يدرك أن 'الْقَلْبُ أَخَذَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ'، يفقد الأمل من مساعدة الناموس له. إن نور التبكيّات يكون قويًا جدًّا لدى البعض، للدرجة التي تجعلهم يفقدون أي أمل في أنفسهم في الحال.

لكن البعض الآخر يستمر في السعي لمدة أشهر وسنين لأن يحققوا برّهم الشخصي. ليس هناك ما هو أصعب من أن يفقد الإنسان تمامًا الأمل في أن يخلّص نفسه، وأن يتمسك -مثل الغريق- بأي شيء في طريقه. لكن عندما يموت كل أمل لديه، يشعر وكأنه كان يغرق ويبدأ في الصراخ بشدة طالبًا الرحمة والمساعدة. إنه يتعلّم ويعترف بأنه بالرغم من عجزه عن فعل أي صلاح، فعجزه هذا هو في حد ذاته خطيئة وليس عذرًا له. إنه يدرك جيّدًا في أعماقه طبيعته الخاطئة وأن الخطيئة خاطئة جدًّا، وأن ليس من شيء صالح يسكن فيه، وأنه يستحق أن يظل في حالة بائسة إلى الأبد، وأتّه إن نال الخلاص، سوف يكون ذلك فقط بالنعمة. ومع ذلك هو عازم أن يموت طالبًا الرحمة، إن لزم الأمر. إنَّ أحد أكثر المشاعر شيوعًا لدى الخاطيء المبتكّ هو شعور عميق بقسوة قلبه الرهيبة وعمى ذهنه، اللذان يعتقد أنّهما قاصران عليه هو فقط".

جون: "إنك تصف تمامًا ما أشعر به، يا أبي".

الأب: "حسنًا يا ابني! أخبرنا الآن بما شعرت به عندما تمّيت أن تقبل المسيح".

جون: "أخشى أن أقول إني قد آمنت، فذلك يبدو وكأنه أعظم جدًّا من أن يكون لي أنا، وأخاف أحيانًا من أن أكون أخدع نفسي، لكنني لا أشك أبدًا في أنني رأيت أنّ المسيح حلّو وأتّه المخلّص المناسب لي. بعدما فقدت كل أمل في الخلاص، عندما كنت تتحدّث معي وتردّد وعود نعمة الله، شعرت وكأن قلبي القاسي بدأ يلين، وبدأت أفكّر في أن الله قادر أن يخلّصني بالمسيح، وملاّتي فكرة إمكانية خلاصي بمشاعر لم أكن قد اختبرتها من قبل. عندما استيقظت هذا الصباح من نوم حلّو، صعدت أفكارني إلى الله، وآمنت بأنه هو أبي المتصالح معي في المسيح، فملاّ قلبي فرح بسيط. استيقظت، وقبل الانتهاء من تغيير ملابسني، أخذت كتابي المقدّس وفتحت الأصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا، وقرأت هذا الأصحاح والأصحاح الذي يليه وقد بدا الأمر وكأن كتابًا جديدًا قد وُضع بين يدي. لقد بدت الصفحات المقدّسة وكأنّها تضيء بالنور والمجد، فعرفت إذن أنها -بكل تأكيد- حق الله. وبينما سألت من عيناوي دموع التوبة -عند النظر إلى آلام المسيح- تأكّدت من أنني قد وثقت به بالفعل وأنه أصبح مخلّصني. كان اختباري لمحبة المسيح أروع من أي اختبار آخر للمحبة،

وبدا وكأن محبة المسيح قد انسكبت في قلبي. بعد هذا الموسم من مشاعر الفرح والحزن المترجة معاً بلطف، بدأ سلام مبهج يتسلل إلى روحي، والذي استمر حتى الآن. لكنني قلق من أنه يمكن أن يقل. إن رغبتى الأكبر كانت أن أظهر امتناني لمخلصي -الذي مات لأجلي- من أجل محبته. كان كلام قلبي هو: 'يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟' وفي الحال أصبح لدي أكبر قدر من التحنن تجاه المخلوقات الأخرى، ورغبة شديدة في أن أدعو العالم كله ليأتي إلى المسيح، لعلمهم بخلصون، وانجذاب لشعب الله ولحاملي رسالة المسيح، وأصبح قلبي مهتم بشدة ومكرس لأن أقضي كل أيامي في خدمة الله مخلصي.

الأب: "لا أعتقد يا بنيامين أن لدي أكثر من ذلك لأقوله. إن اجتذبتك الله إليه - كما أتمنى أن يكون قد بدأ أن يعمل معك بالفعل - سوف تفهم هذه الأمور بشكل مختلف عما يمكنك فهمه الآن عن طريق أي شرح. 'ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب! طوبى للرجل الموثق عليه'."

ماري: "ألم تكن أمي تقيّة؟ ألم تذهب إلى السماء؟"

الأب: "أتمنى ذلك يا ابنتي، فأنا اعتقد أنها كانت مسيحيّة حقيقيّة منذ شبابها."

ماري: "كم كانت تبلغ من العمر عندما انضمت إلى الكنيسة؟"

الأب: "لم أكن قد تعرّفت عليها بعد آنذاك، لكنني سمعتها تقول إنها تعتقد أنها أحبّت المسيح عندما كانت لا تزال طفلة صغيرة، لكن لم يكن يُسمح لها بأن تشترك في كسر الخبز إلا عندما أتمت الرابعة عشر من عمرها."

ماري: "هل سيكون من الخطأ أن أتمنى أن تصليّ أمي لأجلي وهي الآن في السماء؟"

الأب: "إننا لا نقرأ أبداً في الكتاب المقدس عن قديسين منتقلين يصلون من أجل أحبائهم الذين في الأرض، ولا نعلم ما إذا كانوا يصلون من الأساس. إن مهمّتهم هي التسبيح فقط. لكنك لا تحتاجين إلى أي وسيط ليشفع فيك إلا المسيح فقط وهو على استعداد أن يكون ممثلك وأن يطلب من الله أن يغفر لك خطاياك وأن يتبنّاك كابنة له."

ماري: "حسنًا يا أبي، أتمنى أن أصبح مسيحيّة، وأنا أعتذر عن كوني طفلة غير مطيعة في الكثير من الأحيان الماضية. أتمنى أن يغفر الله لي. من فضلك يا أبي صلّ من أجلي، ومن أجلنا جميعًا، لعلّنا نذهب إلى السماء، ونكون للأبد مع أمّنا الحبيبة. وما هو أفضل من ذلك بكثير هو أن نكون مع المسيح، الذي أحبّنا أكثر ممّا يستطيع أي أب أو أي أم".

ثم جثا الأب على الأرض والأولاد الصغار بجانبه وسكب فيض قلبه الأبوي الممتلئ حبًا نيابةً عن أولاده.